

أوراق صحف قديمة

كان الليل يجمع سدوله، تاركا المجال لضوء النهار الوليد لكي يلقى على الكون دفعات من الضوء، تحل مكان ظلام أخذ ينقشع على دفعات تختفى من حين إلى آخر، وكان المطر يهطل غزيرا كأنه سيل تنقض مياهه بقوة على الكون، وكأنها تنساب من فوهات خراطيم، وتندفع لتزيح بعض ما يقع في طريقها من غبار وأشياء خفيفة. وكنت في هذه اللحظة أوشك أن أغادر منزلي بشوارع من شوارع حي روض الفرج، لأذهب إلى عملي بشركة مقاولات بالمهنيين، فوقفت أرقب هذا المنظر بالنظر من خلف زجاج النافذة في حجرتي وأنا أفكر فيما ينبغي على أن أفعل، وكان صوت الرعد الناجم من اصطدام بعض تجمعات من السحب مع بعضها الآخر، يصل إلى أذني، ويزيد من حيرتي.

وكنت مرتبطا بمواعيد مع عدد من عملاء الشركة اتصلت بهم وأدركت انهم لن يتخلفوا عن الحضور، فقر رأيت على أن أتريث قليلا، ووقفت الإرادة الإلهية إلى

جانبي وعاونتنى فى الوقت المناسب، فتوقف هطول المطر بعد فترة وجيزة.

ودفعتنى برودة الطقس إلى أن أكاد اهرول فى سيرى، رغم ما ارتديت من ملابس ثقيلة كادت تثقل كاهلى وتعوقنى عن السير فى طريقى إلى محطة المترو.

وحانت منى التفاتة إلى الطريق أمامى على مسافة غير قصيرة، فوقع بصرى على شئ قائم اللون يسير متجها نحوى، وأمعت النظر إليه، وتخيلت أنه طفلة رشيقة فى حوالى الرابعة من عمرها، مرتدية ثوب قصير ذو كرانيش، وأخذت تهرول فى سيرها وفق نظام خاص يجعل الكرانيش تهتز بانتظام كأنها ترقص مع حركة قدمى الطفلة أثناء سيرها، وتجاوبت حركة الثوب مع حركة الشعر الذى جمع على هيئة ذيل حصان على كل جانب من جانبي رأسها، وانسدل على أذنيها.

نال إعجابى هذا المنظر، وبدأ لى كأنه لوحة أخذت تزداد وضوحا بمضى الوقت لأن كلامنا سارتجاه الآخر، فتباطأت فى سيرى، وشغلت ذهنى بالتفكير فى صاحبة اللوحة، وسألت نفسى عما جعل هذه الطفلة تغادر منزلها فى هذا الوقت من الصباح، وحصلت على إجابات عديدة من المحتمل أن يكون أحدها سببا لكى تغادر الطفلة منزلها.

وصلت في سيرى إلى مفترق طرق، وأردت أن أنعطف إلى الشارع الذي تقع به محطة مترو الأنفاق، ودفعتني حب الاستطلاع إلى أن أنظر إلى الطفلة، وكانت قد اقتربت كثيرا من مكاني، فتوقفت عن السير على أعرف الحقيقة بنفسى.

وبعد دقائق معدودات، كنت أحمل إلى الشئ المتحرك في دهشة، فقد أفضته كلبا كبيرا الحجم أسود اللون حمل بين فكيه القويين حقيبة كبيرة من النايلون الأسود ممتلئة بأنواع مختلفة من المخلضات، فازدت تعجبا ودهشة، واستأنفت سيرى في حيرة.